خلاصات
في الطريق إلى القدس

أ.د. محسن محمد صالح

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصات

في الطريق إلى القدس

أ.د. حسن محمد صالح

مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات
بيروت - لبنان

Insights on the Road to Jerusalem

By:

Prof. Dr. Mohsen Mohammad Saleh

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ©

2023م – 1445هـ

بيروت – لبنان

ISBN 978-614-494-041-9

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

تلفون: + 961 1 80 36 44

تلفاكس: + 961 1 80 36 43

ص.ب.: 14-5034، بيروت – لبنان

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net **الموقع:** www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

تصميم وإخراج

ربيع معروف مراد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسعى هذا الكُتيِّب إلى استخلاص أبرز المعالم والمحددات للرؤية الإسلامية لقضية فلسطين؛ ويحاول أن يُقدِّمها في ضوء المفاهيم الشرعية، وسنن الله سبحانه في الكون، وتجارب التاريخ، وحقائق الواقع، واستشراف المستقبل.

هذه الخُلاصات نُشرت في أصلها في ختام النسخة المحدَّثة من كتاب الطريق إلى القدس التي صدرت في ربيع 2023؛ حيث بَنَت على التجربة الإسلامية التاريخية على أرض فلسطين التي استعرضها الكتاب. ولأننا كنا وما زلنا (على مدى عقود) منشغلين بالتعريف بفلسطين وقضيتها وعوامل تحريرها، فقد يجد القارئ ثمة تداخلات وتقاطعات مع كتابات نشرناها سابقاً، حيث تطابقت بعض نصوصها مع بعض خلاصات هذا الكُتيِّب، مثل كتيب حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية. وقد أثبتناها استكمالاً للفكرة وتعميماً للفائدة.

وقد ارتأى إخوة أفاضل أن هذه الخلاصات يجب أن تُنشر مُستقلة بذاتها، وعدم ربطها بالكتاب فقط، لما رأوا من أهميتها، وليسهل تداولها وتعميمها في حجمها الصغير المكثف، ولتصل إلى كل فلسطيني وعربي ومسلم، وكل من ينشد الحقيقة ويتطلع إلى تحرير فلسطين كاملة من نهرها إلى بحرها.

وقد تمّ إجراء بعض التعديلات والتحسينات على النسخة المنشورة في ختام كتاب الطريق إلى القدس، بناء على ملاحظات واقتراحات كريمة من عدد من العلماء المتخصصين والخبراء فجزاهم الله خيراً. والصدر ما زال مفتوحاً لكل اقتراح وتوجيه ونقدٍ بنّاء.

والحمد لله رب العالمين

محسن محمد صالح

خلاصات
في الطريق إلى القدس

1. الإسلام منهج حياة وصانع حضارة: الإسلام دين شامل، ونظام متكامل للحياة، وبه عزُّ هذه الأمة وكرامتها وتقدُّمها، وبه فلاح البشرية في الدنيا والآخرة، ويتميز بـ"المثالية الواقعية" أي أنه أفضل ما يصلح للبشر، وهو صالح لكل زمان ومكان. وعلى أسسه وقواعده قامت خير أُمّةٍ أخرجت للناس: أمّةُ التوحيد، وأمّةُ الرسالة الخاتمة، وأمّةُ الوسطية والاعتدال، والأمة الشاهدة على الناس؛ ونشأت حضارة إسلامية انتشرت في أرجاء الأرض، واستوعبت الناس على اختلاف قومياتهم وأجناسهم وألوانهم وطبقاتهم وطوائفهم، وشكّلت محضناً للتعايش والتسامح والإبداع الإنساني. وعلى أسسه وقواعده تنهض الأمة من ضعفها وتخلفها وتمزقها، وتستعيد مجدها، وتهزم أعداءها.

2. شرعية ميراث الأنبياء: هذا الدّين العظيم هو دين التوحيد الذي دعا إليه الأنبياء والرسل، ويؤمن المسلمون أنهم الورثة الحقيقيون الجديرون بميراث داود وسليمان وأنبياء بني إسرائيل وصالحيهم، ممن حكموا فلسطين ردحاً من الزمن تحت راية التوحيد (الإسلام)، وأن شرعية حكمها انتقلت إلى المسلمين لأنهم رافعو راية التوحيد من بعد هؤلاء الرسل، والسائرون على درب الأنبياء، ولأن بني إسرائيل تنكبوا عن طريق الحق، فلم تعد الأرض المقدسة حقاً لهم.

3. المكان والمكانة والتمكين: إن هذه الثلاثية هي ثلاثية تميز فلسطين ورسالتها الحضارية ودورها عبر التاريخ. فالمكان أو الموقع بما فيه من جاذبية للعيش ومن مواصفات استراتيجية في النقطة الفاصلة الواصلة بين آسيا وإفريقيا وفي قلب العالم العربي، وفي قلب العالم الإسلامي؛ والمكانة الكبرى بوصفها أرضاً مقدسة مباركة وأرض الأنبياء وأرض الإسراء وأرض المسجد الأقصى...؛ ودورها عبر التاريخ في أنها ارتبطت بالتمكين لدين الله، باعتبارها مركزاً للصراع بين الحق والباطل، وحيث جعلها الله سبحانه (وباقي بلاد الشام) أرض رباط ومقر الطائفة المنصورة

الثابتة على الحق...؛ كلّ ذلك جعلها محطّ أنظار العالم، ومقبرةً للغزاة الظالمين عبر التاريخ...، وكذلك سيكون فيها شرف القضاء على علو بني إسرائيل وإفسادهم (كما في فواتح سورة الإسراء)، ومقتل المسيح الدجال، ونهاية يأجوج ومأجوج.

4. تخلّف الأمة وتراجعها: عانت الأمة الإسلامية ونُظمها السياسية من التّخلف والتّراجع الحضاري، ومن مظاهر الضعف والتفرّق، ومن الاستبداد السياسي، ومن الجمود الفكري والفقهي وتراجع القدرة على الإبداع والتجديد، ومن التنازع الداخلي، والركون إلى الدنيا، وفشلت في الارتقاء بنظم الدولة القادرة على مواكبة التطور، وبناء منظومات فعّالة (نابعة من ديننا وتراثنا) قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة، ومنافسة القوى العالمية الصاعدة؛ مما جعل عالمنا الإسلامي بما فيه فلسطين منطقة مكشوفة، يسهل على القوى الاستعمارية وأعداء الأمة استباحتها واحتلالها وتمزيقها، ونشر الأيديولوجيات الغربية في أوساطها.

5. طبيعة المشروع الصهيوني: إن المشروع الصهيوني هو مشروع عدواني استيطاني إحلالي توسّعي، وهو ليس معادٍ فقط للشعب الفلسطيني وإنما للأمة، وخصوصاً البيئة العربية الإسلامية المحيطة به، التي انغرس في قلبها؛ بل هو معادٍ أيضاً للإنسانية وقيمها؛ وهو متحالف مع القوى الاستعمارية الغربية في عملية استخدام وظيفي متبادل. وإن فكرة إنشاء الكيان اليهودي الصهيوني ليقوم بدور "الدولة الحاجزة" والقلعة المتقدمة للاستعمار، والتي دعمها الاستعمار الغربي، وخصوصاً بريطانيا، تمثل ذروة الخطر الاستعماري الغربي – الصهيوني في قلب العالم الإسلامي. إذ تهدف إلى شطر جناحي العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا إلى شطرين منفصلين. وهي بذلك تسعى إلى إضعافه ومنع وحدته، وإبقائه مفككاً عاجزاً عن النهضة، قابعاً في دائرة التبعية، منتجاً للمواد الأولية وسوقاً استهلاكيةً للمنتجات الغربية. كما تهدف إلى منع ظهور قوة إسلامية كبرى، تحل مكان الدولة العثمانية التي كانت في طور الانهيار. إن معادلة بقاء الكيان اليهودي الصهيوني واستقراره ونموه، في وسطٍ معادٍ، مرتبطةٌ بضمان ضعف ما حوله من أقطار المسلمين وتفككها وتخلفها. وكذلك فإن معادلة نهضة الأمة ووحدتها وقوتها مرتبطةٌ بالقضاء على المشروع الصهيوني الجاثم على قلبها.

6. تقسيم المنطقة وعزل فلسطين: أدت الهيمنة الاستعمارية، التي استفادت من حالة التخلف والانقسام وتطلع القوى المحلية إلى السلطة، إلى انتشار فكرة الدولة القطرية، وتسهيل تقسيم المنطقة إلى دول ودويلات. وكان من أخطر التقسيمات ما عُرف باتفاقية سايكس – بيكو وما تلاها من ترتيبات قسَّمت بلاد الشام والعراق؛ وهيأت بيئة أنسب لإنشاء الكيان اليهودي الصهيوني في فلسطين، من خلال الاستفراد بها ومحاولة عزلها عن محيطها العربي والإسلامي.

7. القدس مؤشر قوة الأمة وضعفها: كانت القدس (وفي قلبها المسجد الأقصى) عبر التاريخ مؤشراً على قوة الأمة أو ضعفها. فعندما تكون الأمة قوية تكون القدس حرة عزيزة، وعندما تكون الأمة ضعيفة متخلفة ممزقة، تتعرض القدس للعدوان واحتلال الأعداء. ذلك أن القدس وفلسطين هي محطّ أنظار العالم دينياً واستراتيجياً. وتحرير القدس هو مؤشر لاستعادة الأمة عافيتها وقوّتها.

8. القضية المركزية للأمة: عندما يتعلق الأمر بقضايا التَّحرر والصراع مع أعداء الأمة والاستعمار، فإن قضية فلسطين هي القضية المركزية للأمة الإسلامية؛ ليس فقط لمكانتها الدينية والاستراتيجية؛ وإنما أيضاً لأنّ المشروع الصهيوني مشروعٌ عالميٌ عدوانيٌ، يستهدف الأمة ونهضتها؛ ويشكل خطراً حقيقياً عليها؛ وهذا يعني أن المسلم عندما يدافع عن فلسطين فإنما يدافع عن نفسه وأرضه وهويته ودينه وتاريخه وتراثه. وبالتالي، تكون فلسطين والقدس والأقصى القضية الجامعة للأمة، والموحدة لبوصلتها ضدّ عدوها المركزي المشترك، وتكون الرافعة لنهضة الأمة وقوتها، لأن تحرير فلسطين لا يتم دون ذلك؛ كما أنها الفاضحة الخافضة لمن يخذلها ويتخلى عنها. وعلى ذلك، فيجب أن تنتقل الأمة من حالة الإسناد إلى الشراكة الحقيقية (خصوصاً في البيئة الاستراتيجية المحيطة بفلسطين)، كلٌّ بحسب استطاعته وإمكاناته وظروفه.

إنّ هذه المركزية لا تُقلّل من قيمة القضايا الكبرى الأخرى للأمة كإقامة حكم الله سبحانه في الأرض، وتحقيق النهوض الحضاري، والوحدة الإسلامية، ومحاربة الظلم والفساد والاستبداد، وتحرير باقي أراضي المسلمين....

9. إسلامية مشروع التحرير: إذا كانت أرض فلسطين أرضاً إسلامية، وشعبها شعباً مسلماً، وانتماؤها الحضاري والثقافي انتماءً إسلامياً، وحاضنتها الشعبية مسلمة، وبيئتها الاستراتيجية مسلمة، فمن الطبيعي أن تكون هوية مشروع التحرير هوية إسلامية. وأولئك الذين يريدون إبعاد الإسلام عن مشروع التحرير يقعون في وهم كبير، لأنهم يكونون كمن يفصل الروح عن الجسد، وكمن ينزع عناصر الطاقة ومحركات العمل من القوى الفاعلة على الأرض.

وإذا كانت صفة "عربية" تنطبق أيضاً على ما سبق، فإن هذه الصفة تؤكد مقولتنا، فهي صفة ارتبطت بالإسلام فتحاً وانتشاراً ولغة وتعريباً وحضارة، والفاتحون "العرب" حملوا رسالة الإسلام وانتموا إليها، فاستظلت بظلها الشعوب والقوميات الأخرى، في انفتاح وتفاعل حضاري يستوعب الجميع في أمة واحدة تحت راية الإسلام العظيم. وكانت وما زالت هوية فلسطين العربية جزءاً طبيعياً منسجماً ومتناغماً مع هويتها الإسلامية الأوسع.

10. الإسلام هو الأقدر على حشد الجماهير: إن الإسلام هو الأقدر على حشد الجماهير وتعبئتها وتفجير طاقاتها، وتقديمها للتضحيات. وإن انسجام الفلسطيني (العربي والمسلم) مع نفسه وعقيدته وثقافته وتراثه، مكوّنٌ أساس في استنهاض الهمم والتضحية بالروح والمال. فهو عندما يؤمن أن النصر من عند الله، وأن الله تكفل بالنصر لعباده الصادقين، وأن فلسطين بقدسيتها وبركتها وأقصاها ومسراها جزء من دينه، وأنه مؤتمن عليها باعتبارها وقفاً للأمة ولأجيال المسلمين، وأن صموده ومعاناته تتحول إلى أجر وحسنات، وأن انتصاره عز للأمة وكرامتها، وأن استشهاده يرفعه إلى الفردوس الأعلى... فعند ذلك لن تجد أيديولوجية لها من الطاقة والحيوية ما لهذا الإسلام العظيم من قدرة وتأثير.

11. ضبط الثوابت والمسارات: أرض فلسطين أرض إسلامية وهي ملكٌ للمسلمين وأجيالهم على مرِّ الزمان إلى يوم القيامة. ولا يجوز لأحد كائناً من كان أن يتنازل عن أي جزء منها مهما كان صغيراً؛ سواء كان فلسطينياً أم عربياً أم مسلماً...

وعلى المسلمين في كل مكان أن يقدموا أموالهم ودماءهم لتحريرها، بعد أن أصبح ذلك من فروض العين.

وهوية فلسطين الإسلامية تضبط الثوابت، كما تضبط البوصلة والمسارات، وتضبط أسقف ومساحات العمل الوطني، ومجالات المناورة والبرامج المرحلية؛ فلا مجال للعبث بالحق الكامل في فلسطين الكاملة والسيادة عليها من نهرها إلى بحرها؛ ولا مجال للاعتراف للمحتلين الغاصبين بأي شرعية أو حقّ لهم على أي جزء من فلسطين؛ ولا مجال للتنازل عن حقّ العودة للاجئين إلى منازلهم التي أُخرجوا منها، كما لا مجال للتنازل عن حقّ المقاومة والجهاد، حتى تحقيق النصر واستكمال التحرير.

12. رصيد التجربة التاريخية: أثبتت التجربة التاريخية أن تحرير فلسطين ارتبط بالإسلام، منذ الفتح العمري مروراً بالحروب الصليبية ومواجهة التتار إلى وقتنا المعاصر. لقد فشلت الأيديولوجيات المختلفة التي هيمنت على البيئة العربية والفلسطينية في تاريخنا الحديث، سواء كانت يسارية أم قومية أم قُطرية، في أن تقود مشروعاً حقيقياً للتحرير؛ وما زلنا ندفع أثمان مُرَّة للهيمنة الرسمية لهذه الأيديولوجيات.

وبالرغم من أنَّ الاتجاه الإسلامي حُورب بشراسة في المنطقة، وحُرم من وسائل النهضة والتمكين، خصوصاً في البيئة الاستراتيجية المحيطة بفلسطين، فإن الإسلام ظلّ المُحرِّض الرئيسي (أو محرضاً رئيسياً على الأقل) في ثورات الشعب الفلسطيني ومقاومته وانتفاضاته طوال المئة عام الماضية. ومنذ أكثر من عقدين، فإن المقاومة الإسلامية الفلسطينية تمثل العمود الفقري لقوى المقاومة المسلحة في فلسطين.

13. نهوض وإصرار بعد ضعف وانكسار: إن مشاريع الوحدة والتحرير والنهضة سبقتها عبر تاريخنا حالات من التمزّق والتّفتُّت والضعف وتسلط الأعداء، إذ إن هذه الحالات كانت دافعاً جوهرياً للمفكرين والعلماء والقوى الحية في الأمة لإطلاق هذه المشاريع وتحريك عجلة التغيير والإبداع. والحالة البائسة التي عاشتها وتعيشها الأمة أدت إلى ظهور العديد من مشاريع النهضة على مدى القرنين الماضيين،

وستستمر حالة التدافع إلى أن تكتمل عناصر النجاح والتمكين والنهوض لمشروع يستند إلى الإسلام ويفجر طاقات الأمة ويوحدها ويهزم أعداءها.

14. نحو إصلاحٍ جذري شامل: تعرّضت الأمة طوال تاريخها الحديث والمعاصر للكثير من الضربات والنكبات واستنزفت طاقاتها ومواردها البشرية والمادية، وهُجّرت كفاءاتها وأدمغتها، وقادت دولَها أنظمةٌ فاسدة مستبدة تدور في فلك قوى كبرى معادية للأمة وإرادتها. وكان من آخر مظاهر معاناتها ما حدث من انتكاسة لما يعرف بـ"الربيع العربي" ومن اضطرابات ومآسٍ وكوارث لعدد من شعوب المنطقة.

غير أن هذه النكسات في المقابل، عزّزت التيارات التي تميل إلى التغيير الجذري، وليس إلى مجرد الإصلاح تحت سقف الأنظمة، وكشفت سوءات وعورات الأنظمة العربية والإقليمية، وفضحت دعاوى الديموقراطية والحرية لدى القوى الدولية، وأظهرت استعدادها للتحالف مع الأنظمة الفاسدة في سبيل منع صعود حالة نهضوية إسلامية فعّالة، كما كشفت فشل الأنظمة في برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنهضوية. وقد صاحبت الحالة المأساوية للأمة اتساعُ ظاهرة "الإخشوشان" بظهور مئات الآلاف أو الملايين الذين واجهوا الظالمين والطغاة بوسائل ناعمة وخشنة؛ وهو ما يشكل رصيداً استراتيجياً في مشاريع الاستنهاض والمقاومة والتحرير.

15. نحو بديل إسلامي حضاري مستقل: إن المنظومة التي يستند إليها المشروع النهضوي، يجب أن تشكّل بديلاً إسلامياً حضارياً مستقلاً يستند إلى الإسلام عقيدة وسلوكاً وقيماً ومنهج حياة، ويقدّم رؤى وحلولاً شاملة، وليس مجرد حلولٍ جزئية أو حالات تكيُّف في بيئات حضارية مختلفة أو تحت أسقفها، وليس برامج محكومة بشروط وأدوات وسلطات الآخرين، وتحديداً الحضارة الغربية.

إن الأمة المسلمة قادرة (ما دامت متمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها) على تحقيق "الشهود الحضاري" وريادة البشرية. وهي الأقدر على صناعة بيئة تنسجم فيها

المحركات الإنسانية الكبرى الساعية لتحقيق العدالة والحق والحرية، وعلى تحقيق التوازن بين الإنسان والخالق (الله سبحانه) والكون. ولذلك، فإن استرداد الأمة لمكانتها ممكن وواجب وضرورة. وإن أمام القوى الحية في الأمة مهام كبرى في إنجاز النموذج الحضاري المنشود، الذي لا يعالج بعض إفرازات العلمانية هنا أو هناك، وإنما يقدم حلولاً وبدائل للنهوض الحضاري وريادة البشرية، مستفيداً من أفضل ما توصلت إليه الحضارة الإنسانية.

16. عناصر أساسية لنجاح مشروع النهضة والتحرير: إنّ وضوح الرؤية والرسالة، والقيادة المؤمنة الكفؤة، والنواة الصلبة من "الرواحل" والكفاءات القادرة على الانتقال من تفعيل الجماهير إلى قيادة الدولة ومشروع النهضة، والمنظومة المؤسسية الشورية الفعالة، والبرنامج العملي الشامل الواقعي الطّموح، والإرادة القوية المصحوبة بالاستعداد لدفع الأثمان والاستحقاقات؛ هي عناصر ستة أساسية في بنية أي مشروع نهضوي وأي مشروع تحرير.

17. العلاقة الجوهرية بين النهضة والتحرير: إنه لا تغيير في واقعنا المتخلّف إلا من خلال مشروع إسلامي نهضوي،

ولا مشروع نهضوي إلّا إذا كان مستقلاً شاملاً، ومستكملاً لشروط النجاح الذاتية والموضوعية،

ولا يتحقَّق المشروع النهضوي دون "التمكين" له على الأرض،

ولا يُستكمل المشروع النهضوي دون مشروع وحدوي،

ولا مجال للتمكين والوحدة دون مواجهة النفوذ والتدخل الخارجي،

كما لا مجال للتمكين والوحدة دون مواجهة المشروع الصهيوني؛

ولا يُتم المشروع النهضوي بُنيانه، إلا إذا كان تحرير الأرض والإنسان ركناً من أركانه،

وبالتالي فمشروع النهوض والوحدة والتمكين مرتبط جوهرياً بمشروع التحرير.

18. الرؤية الإسلامية لتحرير فلسطين: إن أبرز معالم الرؤية الإسلامية لتحرير فلسطين تتمثل في:

أ. تبني الإسلام عقيدة وسلوكاً ومنهج حياة، والحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى.

ب. لا بدّ من قيادة مؤمنة كفؤة صادقة، تكون مؤهلة لمواجهة المشروع الصهيوني وهزيمته.

ج. توسيع دائرة الصراع مع العدو الصهيوني ليكون (بالإضافة إلى كونه مسؤولية كل فلسطيني وعربي) مسؤولية كل مسلم، بل كل إنسان يدافع عن الحق والعدل والحرية.

د. دعم شعب فلسطين ومساندته وتأهيله بالوسائل كافة، باعتبار أنه خطّ الدفاع الأول عن الأمة الإسلامية، حتى يَثْبُتَ على أرضه، ويستمر في صموده وجهاده.

هـ. السعي لتحقيق نهضة حضارية تكون مدخلاً للتغيير والارتقاء الإيجابي الشامل في مجتمعاتنا المسلمة سياسياً واقتصادياً وعلمياً وعسكرياً، ومدخلاً للوحدة خصوصاً في البيئة الاستراتيجية المحيطة بفلسطين؛ حتى يكون المسلمون قادرين ذاتياً على حَمْل تكاليف الجهاد وأعباء التحرير، وعلى تحقيق شروط التمكين والاستخلاف في الأرض وريادة الإنسانية.

19. معركة أجيال: معركة تحرير فلسطين معركة مستمرة لا تتوقف إلا بتحريرها كاملة، واندحار المشروع الصهيوني، وهي معركة تحملها الأجيال، جيلاً بعد جيل حتى يأذن الله بالنصر والتحرير.

ولا ينبغي أن تكون الهزائم والانتكاسات والإحباطات، وخذلان القريب والبعيد وفساد الأنظمة وحكامها أسباباً للتنازل عن أي جزءٍ من الأرض المباركة؛ بل يجب أن تُشكل دوافع ومحفزات للمخلصين لعمل المراجعات، واستخلاص العبر، ومضاعفة الجهود والإبداع، واستكمال الأسباب.

20. خطوط عمل متوازية: إن الجهاد لتحرير فلسطين، والعمل للنهوض الحضاري للأمة وإقامة دولة الإسلام هما عملان متوازيان متكاملان، يمكن أن يسيرا جنباً إلى جنب، ويكون أحدهما رافعة للآخر، دون أن ينتظر أحدهما الآخر أو يُعطّله. وكما أن النهضة والوحدة طريق للتحرير، فإن الجهاد ومواجهة العدو الصهيوني وإضعافه ومشاغلته وهزيمته هو طريق للنهضة والوحدة.

21. تحقيق التفوّق الاستراتيجي: إن دور شعب فلسطين هو دور حيويٌّ أساسيٌّ، وتقع على عاتقه مسؤولية كبرى، فأبناء فلسطين هم أصحاب الثغر وأهل الرباط، والأثقل في المسؤولية وأداء الواجب، وهم رأس الرمح وهم الصف الأول، وهم بصمودهم على الأرض يُثبتون هويتها الإسلامية، وهم بمقاومتهم يُضعفون العدو ويفقدونه أمنه واستقراره، ويُعطّلون تمدُّده. غير أن فلسطين لا تُحرّر من داخلها فقط، ولا يستطيع الشعب الفلسطيني وحده أن يقوم بتحرير فلسطين كلّها. وإنّ إنجاز مشروع التحرير الكامل ومواجهة مشروعٍ صهيوني عالمي ترعاه قوى عظمى، لا يكون إلّا من خلال مشروع إسلامي نهضوي، خصوصاً في البيئة الاستراتيجية المحيطة بفلسطين، يُحقق تفوقاً استراتيجياً يُمكِّنه من "تتبير" المشروع اليهودي الصهيوني.

22. لا تعارض مع الأبعاد الوطنية والعربية: لا تتناقض الرؤية الإسلامية للتحرير مع الأبعاد الوطنية والقومية؛ فالمسلمون أشد إخلاصاً لأوطانهم؛ فهم مع وطنية الحب والشوق والحنين للأرض، ومع وطنية العزة والكرامة والتحرير، ومع وطنية المجتمع القائم على التعاون والتكافل والتراحم؛ وفوق ذلك، فإن الحفاظ على الأرض وبذل الدماء والأموال في سبيل تحريرها من الأعداء جزء من عقيدتهم ودينهم.

ولا ينبغي أن يكون ثمة تعارض بين الدائرة العربية والدائرة الإسلامية، فالعرب هم مادة الإسلام، وهم في واقعهم المعاصر وبأغلبيتهم الساحقة مسلمون (بنحو 95%). وأكثر ما يجمع العرب هو دينهم، ولغتهم التي حفظها القرآن والتراث الإسلامي. ومشاريع الوحدة العربية يمكن أن ينظر لها بإيجابية باعتبارها خطوة باتجاه الوحدة الإسلامية، ما دامت تعبّر عن إرادة الشعوب، ومنفتحة لا تقوم

على العصبيات والعقليات الإقصائية، ولا على دكتاتورية الأقليات أو الانقلابات العسكرية. ولذلك، فإن دوائر العمل لفلسطين سواء كانت وطنية أم عربية أم إسلامية أم إنسانية هي دوائر متكاملة؛ وينبغي أن يتم تفعيل عناصرها الإيجابية في مشاريع النهضة والتحرير.

23. مشروع تحرير نهضوي مستوعب للطوائف من غير المسلمين: إن المشروع الإسلامي ليس مشروعاً طائفياً ولا عنصرياً ولا انعزالياً. وهو لا يعني ظلماً أو تهميشاً للطوائف الدينية غير المسلمة، ولا يعني إكراهاً في الدّين؛ بل هو مشروع حضاري نهضوي يتسم بالانفتاح والمرونة، واستيعاب الشرائح والقوى الساعية للإسهام في مشروع التحرير، والتي ستأخذ مواقعها بحسب إخلاصها وكفاءتها.

وما دام الإسلام هو الجامع الأساس للشعب الفلسطيني وللعرب وشعوب الأمة المسلمة، وهو القاسم المشترك الأكبر بين الجميع؛ فلا يجوز استبعاده لصالح أيديولوجيات لا تجمع أنصاف أو أرباع أو أعشار ما يجمعه الإسلام.

وباستخدام القياس ذاته، لماذا يتم (وفق المنظور القومي) تجاوز أبناء القوميات الأخرى في المنطقة العربية كالكُرد والأمازيغ والأفارقة والتركمان، وكلهم مسلمون (ولسانهم عربي)، ونسبتهم أعلى من نسبة أبناء الطوائف الدينية الأخرى؟

كما لا ينبغي الاستغناء عن أكبر قوة دافعة ومحرضة ومُوحّدة للتحرير؛ لصالح أيديولوجيات فشلت أن تستخرج هذا المخزون الهائل من الطاقة والحيوية في الأمة على مدى سنوات طويلة في مواجهة المشروع الصهيوني.

ثم إن مسيحيي فلسطين (منذ العهدة العُمرية) ومعهم مسيحيو الشرق، اندمجوا في الحضارة الإسلامية وشاركوا في بنائها، وعاشوا أجواء الحرية والتسامح على مدى التاريخ الإسلامي. وقد أسهم مسيحيو فلسطين بقوة في مواجهة الحركة الصهيونية بالكلمة والقلم والبندقية، وعملوا دونما حساسية تحت قيادة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، وقاتلوا ضمن تشكيلات "الجهاد المقدّس". وكانوا وما زالوا جزءاً أساسياً من الحركة الوطنية الفلسطينية.

24. قتال الغاصبين المعتدين: إن المسلمين لا يقاتلون اليهود لمجرَّد كونهم يهوداً، فالأصل في علاقة المسلمين بأهل الكتاب هو العدل والإحسان وإعطاء الحريات والحقوق الدينية وحقوق المواطنة لهم في ظلّ الإسلام. إن المسلمين يقاتلون اليهود الصهاينة المعتدين، الذين اغتصبوا أرض فلسطين، وشردوا شعبها، وانتهكوا مقدساتها، وسيقاتل المسلمون أيّ فئة أو جماعة تحاول احتلال أرضهم، مهما كان دينها أو قوميتها.

25. طبيعة الحركات الجهادية: السير في كثير من الأحيان عكس التيار، والخروج عن النمط، وعدم التموضع والتكيف داخل المنظومات الرتيبة، أو تحت أسقف وحسابات الأنظمة، هو من طبيعة الحركات الجهادية الثورية التغييرية؛ ولا ينبغي الإحباط من قلة "السالكين" وكثرة "الغثاء" والمُدَجّنين. فالمهم هو حسن العلاقة بالله سبحانه وصحة المنهج، وحسن التوكل على الله سبحانه بعد بذل الأسباب.

وفي الطريق لتحرير القدس وفلسطين، وبعد اتضاح الرؤية والمسار والمنهج، تَثبُتُ المصداقيةُ والجدية من خلال العمل على الأرض، والصبر والصمود، والبذل والتضحية، والمرابطة على الثغور، ودعم المجاهدين، والتنافس على النكاية في العدو، واحترام اجتهادات أصحاب الثغور الصادقين.

26. شبكات أمان عابرة للأقطار: في طريق مواجهة المشروع الصهيوني وتحرير فلسطين، فإن على القوى المخلصة والفاعلة في المنطقة أن تُشكِّل شبكة أمان (شعبية ورسمية ما أمكن):

أ. شبكة أمان وطني عربي إسلامي بحيث تتساند في عملية التنمية والنهوض.

ب. شبكة أمان ضدّ الصراعات الطائفية والعرقية، وضدّ كل ما يمنع وحدتها وكل ما يحرف الأمة عن بوصلة صراعها مع أعدائها الحقيقيين.

ج. شبكة أمان ضدّ التدخل الخارجي، وضدّ القوى التي تسعى لإضعاف الأمة وشرذمتها.

وبذلك تستطيع الأمة أن توفر طاقتها للنهوض الحضاري وتحرير الأرض والمقدسات.

27. البُعد الإنساني للقضية: إن القضية الفلسطينية قضية ذات أبعاد إنسانية كبرى، فالمشروع الصهيوني قام أساساً على اغتصاب الحقوق والظلم، ونشأ معادياً للقيم الإنسانية المبنية على قواعد الحق والعدالة والحرية. إن الحركة الصهيونية واحتلالها لفلسطين هي النموذج المتبقي للاستعمار التقليدي الأوروبي الغربي الذي زال عن أرجاء العالم، ويجب أن يزول عاجلاً أم آجلاً عن فلسطين.

إن وجود الكيان الصهيوني في فلسطين، قلب العالم الإسلامي، وحشده لأسلحة الدمار الشامل، والدعم الأمريكي والغربي غير المحدود له، سوف يظل الفتيل المشتعل الذي يهدد السلام العالمي بالانفجار؛ ما دام مُصرّاً على الاحتلال، وعلى تهويد الأرض والإنسان والمقدسات؛ وعلى قمعه لإرادة الشعب الفلسطيني والأمة. وبالتالي، فإن مهمة تحرير فلسطين هي مهمة إنسانية وحضارية يجب أن تشارك فيها شعوب الأرض وأقطارها.

28. هزيمة المشروع اليهودي الصهيوني: إن هزيمة المشروع اليهودي الصهيوني في فلسطين واندحاره ليست أمراً ممكناً فقط، وإنما هي حقيقة أكيدة لأنها بشرى ربانية، جاءت في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنها بشرى نبوية، حدثنا عنها المعصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى. ثم لأن سنن الله سبحانه في الكون وتجارب التاريخ تخبرنا أن الظلم لا يدوم، وأنه على الباغي تدور الدوائر، وأنه لا يضيع حق وراءه مُطالِب، وأن الأمة عندما تعود إلى ربها، وتحقق وحدتها، وتسترجع أسباب عزتها وقوتها، وتُحقّق شروط الاستخلاف والتمكين، قادرة بإذن الله على تحقيق النصر والتحرير. وعلى الأمة وقواها المجاهدة أن تربي أجيالها على الثقة بوعد الله، وأنّ المشروع الصهيوني هو حلقة من حلقات الصراع على الأرض المقدسة، وسيُهزم ويزول كما زالت الغزوات والاحتلالات العديدة التي مرت عليها.

خلاصات
في الطريق إلى القدس

Insights on the
Road to Jerusalem

هذا الكُتيِّب

يسعى هذا الكُتيِّب إلى استخلاص أبرز المعالم والمحددات للرؤية الإسلامية لقضية فلسطين؛ ويحاول أن يُقدِّمها في ضوء المفاهيم الشرعية، وسنن الله سبحانه في الكون، وتجارب التاريخ، وحقائق الواقع، واستشراف المستقبل.

والكُتيِّب يبرز الإسلام بوصفه منهج حياة وصانع حضارة، ويؤكد على مكانة فلسطين، ودورها في التمكين لدين الله. وينبه إلى معالم ضعف الأمة الإسلامية وتخلفها وتراجعها في واقعنا الحديث والمعاصر، وإلى ضرورة استئناف دورها الحضاري ومشروعها النهضوي؛ ويؤكد على مركزية قضية فلسطين، وعلى إسلامية مشروع التحرير، ويبرز أسسه، ويوضح أنه يسير بشكل متوازٍ ومتكامل مع مشاريع الوحدة والنهضة، وأنه لا يتعارض مع الأبعاد الوطنية والعربية، وأنه له أبعاده الإنسانية.

ويشير الكُتيِّب إلى عناصر تحقيق التفوق الاستراتيجي، وأُسس نجاح مشروع النهضة والتحرير، وينبه إلى طبيعة العمل الجهادي، ويؤكد في النهاية على الثقة بوعد الله في النصر والتحرير، بعد استكمال الأسباب وتحقيق شروط الاستخلاف والتمكين.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 14-5034 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
www.alzaytouna.net | info@alzaytouna.net

ISBN 978-614-494-041-9